# مسؤولية صلاح الدين في فشل حصار صور

* محسن محمد حسين

* حصل على الدكتوراه في التاريخ الإسلامي من كلية الآداب ـ جامعة بغداد عام ١٩٨١ م .
يعمل أستاذاً مساعداً بقسم التاريخ ـ كلية التربية / جامعة بغداد .

## الملخص

إن قائداً عظيماً يجابه عدواً ما زال يحتفظ بكامل قدراته ومزاياه العسكرية، لن يكون تاريخه سلسلة من الانتصارات، بل الأرجح أن تتخلل مسيرة قائد كهذا بعض الانكسارات. وفي السياق العادي يعتبر الانتصار الذي يحرزه قائد ما، حدثا هاما، ولا سيما حين يكون الانحدار هو السمة الغالبة للمرحلة.

إلا أن الوضع مع صلاح الدين (يوسف بن أيوب بن شادي) كان مختلفا. فرغم أن تاريخه العسكري لم يخل من هزيمة: هزيمة في بدء مجابهاته العسكرية مع العدو الصليبي (الرملة ٥٧٣هـ / ١١٧٧م) وهزيمة في نهاية تلك المجابهة المستمرة (عكا ٥٨٧ هـ / ١١٩١م)، وبعدها في أرسوف، إلا أن الحدث العسكري الذي صار مجالا لتوجيه اللوم إليه، بل ومحاولة لجعل صورة سيرته الجهادية تهتز، كان حادث فشل حصار مدينة صور. ورغم أن صلاح الدين لم يهزم عند صور، لكنه لم ينتصر فيها أيضا، وفرق بين الهزيمة وبين عدم إحراز النصر.

لقد اعتبر هذا الفشل حدثا استثنائيا ضمن سياق انتصارات القائد صلاح الدين المتتابعة، إلا أن هذا الاعتبار يعد تخريجا يفتقر إلى التحليل العلمي. فمن شأن أي قائد، مهما علت منزلته أن يهزم، أولا ينتصر في بعض فعالياته العسكرية. ولهذا فاعتبار فشله في صور من قبيل الاستثناء ـ من لدن بعض المؤرخين ـ خطأ لا يُعتدّ به. وأبرز من يشار إليه في هذا الصدد هو مؤرخ عصر صلاح الدين الشهير (ابن الأثير الجزري) الذي اتسّمت كتاباته بالتحامل على هذا القائد، أو إظهاره على غير حقيقته، سواء في كتابه (الكامل في التاريخ) أو في (الباهر في التاريخ الأتابكي). ومن هذه النظرة البعيدة عن الحيدة أظهر شماتته لما حصل عند صور، أكثر من ذي قبل.

ليس هذا فحسب، بل إن هذا المؤرخ استهان بالتضحيات الجسام التي قدّمها هذا القائد وأمراؤه وجنده، حين أعلن: «لم يطل مقام صلاح الدين على مدينة بل فتح الجميع في الأيام القريبة بغير تعب ولا مشقة» (ابن الأثير، ١٩٦٦: ٥٥٥/١١). إضافة إلى أنه رمى مسؤولية ما حصل في صور على عاتق هذا القائد (شخصياً)، بل وأظهره بمظهر من لم يكن جاداً في حصاره. وأخيراً نصّب نفسه مرشداً وواعظاً ليقول بشأن هذا الفشل: «ليعلم أن الملك لا ينبغي أن يترك الحزم، وإن ساعدته الأقدار، فلأن يعجز حازماً خير له من أن يظفر مفرطا، مضيّعاً للحزم» (ابن الأثير ١٩٦٦: ٥٥٦/١١).

ومع ذلك فإن ما حصل عند هذه البلدة الحصينة كانت له أهميته، بحيث لا يمكن التوقف عند الرد على طعون المؤرخ الكبير المذكور، إذ أن مؤرخاً معاصراً آخر هو «عماد الدين الكاتب» الذي كان بمثابة المسؤول عن ديوان إنشاء صلاح الدين، ومراسلَه الحربي، ومن المقربين منه، يوجه بطريقته الخاصة نقداً إلى هذا القائد. لهذا فإن ما حصل جعل الدفاع عن سياسته ـ دون تمحيص ـ لا يصمد طويلاً. فما الذي حصل عند صور إذن؟

المدخـــل

ظلت مدينة صور الساحلية المدينة الشهيرة الوحيدة التي عجزت قوات صلاح الدين عن فتحها، وتحولت إلى قلعة ـ ضمن القلاع الصليبية الباقية، التي تركزت عليها حركة المقاومة الصليبية في وقت لاحق.

والمعروف أن صلاح الدين حين حقق توحيد جبهته الداخلية بصورة تامة؛ بإلحاق إمارة الموصل الأتابكية إلى دولته سنة ٥٨١هـ / ١١٨٥م، تسنى له أن يتفرغ لضرب الصليبيين، ووصل ذروة نجاحه في سنة ٥٨٣ و٥٨٤هـ / ١١٨٧ ـ ١١٨٨م، عندما أحرز انتصاره الباهر في حطين، وأعقب ذلك فتح مدينة بيت المقدس، وبذلك سقطت مملكة بيت المقدس التي كانت عصب حياة المستوطنين الصليبيين. ثم فتح مدينة عكا التي كانت تسمى بـ «أم الدنيا وقسطنطينية الشام». وفتح أيضا العشرات من المدن والقلاع التي كان الصليبيون يحتلونها، ولا سيما في الشريط الساحلي الضيق الذي استوطنوا فيه، وأصبح بمثابة رأس جسر يرتكزون عليه في حركتهم الاستيطانية منذ أن وطأت أقدامهم الأرض العربية الإسلامية في نهاية القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي.

وتُظهر لنا فتوحات صلاح الدين أن قواته لم تحاصر مدينة أو قلعة، كانت بيد الصليبيين، إلا وفتحها بطريقة أو أخرى، باستثناء مدينة صور، حيث فشل جيشه في فتحها في مرتين متلاحقتين، كانت الأولى في يوليو (تموز) ١١٨٧م، والثانية في نوفمبر (تشرين الثاني) من نفس العام ( رمضان ٥٨٣ هـ )، كما سنرى. وكان هذا الفشل بداية لمتاعب واجهت المسلمين في صراعهم المقبل مع الصليبيين. فقد أعقب هذا الحدث بسنين قليلة سقوط عكا المريع بيد الصليبيين مرة أخرى، ثم هزيمة المسلمين في أرسوف[١]، وتخريب بعض المدن والحصون لكيلا تقع بيد الصليبيين، مثل عسقلان[٢]، وحصن مدينة الرملة[٣]، والنطرون [٤] وغيرها.

وهنا يستطيع المؤرخ أن يقسّم مرحلة الجهاد الصلاحي (نسبة إلى صلاح الدين) إلى قسمين. الأول يمثل مرحلة إقامة الجبهة المتحدة، والحيلولة دون انفراطها، والهجوم على الأراضي المحتلة، وفتح مدنها بسرعة مذهلة لا مثيل لها. والقسم الثاني يمثل مرحلة الدفاع والتحصين والمقاومة. وقد اتضح ذلك تماما حين وصلت مجهودات صلاح الدين الحربية إلى نقطة التشبع، ولم يقو بعدها على مغالبة بقايا المقاومة الصليبية. ففي إمارة طرابلس لم يتسن لصلاح الدين أن يفتح منها سوى مدينة جبيل. وفي إمارة انطاكية في أقصى شمال بلاد الشام، دخل في هدنة مع صاحبها «بوهمند الثالث» أمدها ثمانية أشهر.

والواقع أن أبرز أسباب فشل حصار صور يعود إلى متانة أسوارها. والحديث عن هذه المتانة يسوقنا إلى الحديث عما أقيم فيها من تحصينات في العهود السابقة، إضافة إلى وضع المدينة الطوبوغرافي والستراتيجي الخاص، حتى صارت من القوة بحيث استطاعت الصمود بوجه قائد عظيم من طراز صلاح الدين. ويعود تاريخ هذه التحصينات إلى فترات سابقة، قبل أن تطأها أقدام المحتلين بمئات

السنين، حتى أن (أحمد بن طولون) الذي حكم مصر والشام في الربع الأول من القرن الثالث الهجري / التاسع الميلادي، أعجبته حصانتها وحائطها المستدير المحكم، فأحب أن يحصنّ عكا على غرارها، أي أن مدينة صور عرفت بمتانتها قبل العهد الطولوني، وهذا (ناصر خسرو) من رحّالي النصف الأول من القرن الخامس الهجري / الحادي عشر الميلادي، يصف مدينة صور، حين زارها عام ٤٣٨هـ /١٠٤٧م، وقال: إنها مدينة بنيت على صخرة امتدت في الماء، بحيث أن الجزء الواقع على اليابس من قلعتها لا يزيد على مائة ذراع، والباقي في ماء البحر، والقلعة مبنيّة بالحجر المنحوت الذي سدّت فجواته بالقار حتى لا يدخل الماء من خلالها (خسرو، ١٩٧٠ : ٥٠). فمدينة هذه أوصافها، لا بد أن تسبب المتاعب لمن يفكر في فتحها في تلك العهود. لهذا فقد لاقى فاتحوها العنت الشديد لدى محاولاتهم الاستيلاء عليها. وهنا لا نبغي أن نتحدث عن تفاصيل هذه المحاولات، ولا سيما محاولات الصليبيين، إذ أن ذلك سيخرجنا عن الهدف الأساس لموضوعنا. والمهم أنهم استطاعوا احتلالها وضمها إلى دولتهم القائمة ضمن مملكة (بيت المقدس) الصليبية. ثم حاول المسلمون استعادتها مراراً، دون جدوى. ففي سنة ٥٣٤هـ/١١٣٨م، قام الأمير «إبراهيم طرغت» صاحب بانياس بمحاولة من هذا القبيل إلا أن محاولته ذهبت أدراج الرياح، لأن الأمير الصليبي (ريموند) صاحب أنطاكية، حال دون ذلك، ففشلت المحاولة (ابن القلانسي، ١٩٠٨ : ٢٢٧). وظلت صور بأيدي الصليبيين، ولم يتسن للمسلمين فتحها، أو محاولة ذلك، حتى جاء صلاح الدين فعجز ـ هو الآخر ـ عن تحقيق هدفه، فكانت إحدى المعضلات التي واجهته.

## البحث

تداعت المدن التي كانت رازحة تحت الاحتلال الصليبي، اثر انتصار حطين الحاسم. فبعد أن أتم صلاح الدين فتح منطقة الجليل، شمالي فلسطين، والتي من ضمنها مدينة عكا الهامة، تحرك بجيشه على امتداد الساحل شمالاً ووصل إلى صور، التي التجأ إليها (باليان ابلين Balian of Ibelin) المعروف في المصادر العربية (باليان بن بير زان)، و(رينالد Reginald ) صاحب صيدا، الأميران الصليبيان، صحبة معظم من بقي على قيد الحياة بعد معركة حطين. وقد تولى رينالد أمر صور. وبعد أن طوقتها قوات صلاح الدين، أدرك (رينالد) أن ليس بوسع قوات المدينة الصمود، فدخل في مفاوضات مع صلاح الدين حول تفاصيل تسليمها، حتى أن الأخير أرسل لوائين «رايتين» من ألوية جيشه لرفعهما على قلعة صور، رمزاً لاستسلامها.

في مثل هذا الظرف دخلت سفينة إلى داخل الميناء في ١٤ يوليو (تموز)، أي بعد عشرة أيام على معركة حطين، وعلى متنها (كنراد ابن ماركيز مونتفيرات ـ Conrad of Montferrat) أي ابن الماركيز الصليبي الكهل الأسير لدى صلاح الدين في دمشق، وشقيق أول زوج للملكة (سبيلا Sibylla). وكان كنراد هذا قد أبحر سراً مع جماعة من الفرسان الصليبيين لزيارة الأماكن المقدسة، بعد أن تورط في القسطنطينية في جريمة قتل (رنسيمان، ١٩٦٨ : ٢/ ٧٦٢) (Lane - pook, 1964:221) ولم يكونوا يعلمون بما جرى في فلسطين من تطورات بعد انتصار المسلمين في حطين، فاتخذوا طريقهم إلى عكا، وحين اقتربت سفينتهم من هذا الميناء، عقدت الحيرة ألسنتهم، لأنهم لم يسمعوا ما اعتادوا أن يسمعوه

من ضرب النواقيس كلما لاح في الأفق شراع سفينة، فأدركوا أن المسلمين قد استعادوا عكا. ثم جاء من يخبرهم بذلك، فأصابهم الهلع. إلا أنهم لم يلقوا مراسيهم، بل أمر كنراد، ربّان السفينة أن يواصل السير ويتجه شمالا نحو صور. فوصلها في تلك اللحظة الحرجة من مفاوضات رينالد المذكورة ـ مع صلاح الدين (ابن الأثير، ١٩٦٦: ١١/٥٤٤).

لقي كنراد ـ ورفاقه ـ كل الترحيب من مقاتلي المدينة الصليبيين، وبدا لهم أنه جاء لينقذ المدينة التي صارت بين قاب قوسين أو أدنى من الاستسلام. فتولّى ـ كنراد ـ أمر تنظيم الدفاع عنها، بدلا من رينالد. وقصة قدوم هذا الأمير إلى صور شبيهة بقصة وصول القائد الصليبي المذكور (باليان بن بيرزان) إلى بيت المقدس ـ فيما بعد ـ من حيث قيادة تنظيم المقاومة ضد قوات صلاح الدين ـ في كلتا المدينتين، إلا أن الأثر الذي تركه وصول كنراد كان أعمق بكثير من أثر وصول باليان إلى المدينة المقدسة التي حررها صلاح الدين.

اشترط كنراد على المقاتلين، والذين يديرون شؤون صور، أن تكون هذه المدينة وما يتبعها، تحت إمرته وحكمه بعد انقاذها من حصار صلاح الدين، فوافقوا على شروطه، وأقسموا له يمين الطاعة. فبدأ بتحصين صور وترميم أسوارها (ابن الأثير، ١٩٦٦: ١١/٥٥٣)، (سبط بن الجوزي، ١٩٥٢: ٨/٤٠٠)، (ابن واصل، ١٩٥٧: ٢/٢٠٩)، ثم حفر خندقا في الجانب الشرقي، الجانب الوحيد الذي يربط المدينة بالساحل اي أنه أوصل البحر بالبحر، فصارت المدينة كالجزيرة لا يمكن الوصول إليها ولا الدنو منها (ابن الأثير، ١٩٦٦: ١١/٥٥٣)، (ابو شامة، ١٢٨٧هـ: ٢/١١٩) (الحنبلي، ١٩٧٩: ١٥١).

والواقع أن المحتلين قد أخذوا احتياطا كافيا للدفاع عن هذه المدينة، والحيلولة دون استعادة المسلمين لها منذ فترة مبكرة، حتى أن الرحالة الشهير (ابن جبير) المغربي البلنسي، وصفها حين زارها سنة ٥٧٩هـ/١١٨٤م، أي قبل حطين، وقبل فرض صلاح الدين الحصار عليها بحوالي أربع سنين، وصفها قائلا: إنها مدينة يضرب بها المثل في الحصانة. . . . جعلها الفرنج موطن أمانهم. ويضيف إلى قوله: وأما حصانتها ومناعتها فأعجب ما يُحَدّث به. . . ليس في البلاد البحرية أعجب وضعا منها، يحيط بها سور المدينة من ثلاثة جوانب، ويحدق بها من الجانب الآخر جدار معقود بالجصّ، فالسفن تدخل تحت السور وترسو فيها، وتعترض بين البرجين، اللذين يؤديان إلى المدينة، سلسلة عظيمة تمنع عند اعتراضها الداخل والخارج، فلا مجال للمراكب إلا عند إزالتها. ويختتم ابن جبير كلامه بقوله: فشأن هذا الميناء شأن عجيب في حُسن الوضع (ابن جبير، ١٩٦٤: ٢٧٨)، (الحميري، ١٩٧٥: ٣٦٩). وقد دخل هذا الرحالة مدينة صور وأقام فيها أحد عشر يوما، في وقت كانت المدينة بيد الصليبيين. ووصف الجغرافي (القزويني) صور وصفا موجزاً، وتحدث عن سورها، وقال: إنه استدار على مينائها استدارة عجيبة (القزويني، ١٩٦٠: ٢١٧) ولهذا كان من الصعب أحراز النصر على مدينة مثل صور بأساليب الحصار الاعتيادية.

وحين عجز صلاح الدين عن تحقيق هدفه، أمر بجلب (مونتفيرات والد الماركيز كونراد) من

دمشق، وطلب من جنده أن يعرّضوه أمام أسوار المدينة، لكي يراه ابنه، أو يسمع خبر وجوده في حوزة صلاح الدين، الذي هدّد بإعدامه ما لم تستسلم المدينة له. غير أن ما كان لدى كونراد من عاطفة البنوة لم يكن من القوة ليصرفه عن تأدية واجبه، ـ كمحارب مسيحي ـ على حد قول رنسيمان (١٩٦٨ : ٢/٧٦٢). لأنه لم يشأ أن يضحيّ بهذه المدينة الحصينة، من أجل رجل مسنّ، رغم أن الرجل هو والده. لم يتأثر بما أعلنه صلاح الدين، لأنه كان على علم بما عرف عن هذا القائد وما اشتهر به من عطف ورفق، ولا سيما عطفه على الشيوخ والنساء، فرفع حصاره عن صور.

ومن عكا، التي اتخذها صلاح الدين قاعدة للعمليات العسكرية لتحرير فلسطين ثم الشام، أنفذ السرايا إلى سائر الأطراف المحتلة، وكتب إلى أخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر في القاهرة يطلب منه القدوم مع العساكر المصرية، وليسهم في استعادة المدن والقلاع. وجاءت هذه العساكر، واستولت على الناصرة وصفورية[٥] والفولة[٦] داخل فلسطين، بينما استولت جماعة عسكرية أخرى على حيفا وقيسارية[٧] وارسوف على الساحل، وأخضعت قوة أخرى سبسطية[٨] ونابلس. وحين عصى فتح تبنين[٩] على (تقي الدين عمر) ابن أخ صلاح الدين، سار هذا القائد بنفسه واستولى عليها (ابن الأثير، ١٩٦٦ : ١١/٥٤١ ـ ٥٤٢). ثم توجه صلاح الدين إلى صيدا، فاستسلمت له في ٢٩ يوليو / تموز ١١٨٧م (جمادي الأولى ٥٨٣) وفر صاحبها (رينالد) إلى قلعته المنيعة (شقيف أرنون)[١٠] بالداخل. وقصد بعد ذلك بيروت التي كانت من مدن الساحل الطيبة والمنيعة، لذا استطاع الصليبيون مقاومة قوات صلاح الدين اعتماداً على متانة أسوارها، وحين أدركوا أن خبرتهم المحدودة في المسائل العسكرية ستحول دون استمرار صمودهم، طلبوا الأمان، وأذعنوا لصلاح الدين في ٦ أغسطس (آب) ١١٨٧م / ٢٩ جمادى الأولى ٥٨٣هـ. ثم توجّه هذا القائد إلى جبيل[١١] وكان صاحبها (أوك الثالث Hugues III) أسيراً في دمشق منذ انتصار حطين، فقرر صلاح الدين إطلاق سراحه مقابل تسليم هذا الحصن وإطلاق سراح الأسرى المسلمين. وقد تعرض عمل صلاح الدين هذا إلى انتقاد المؤرخ (ابن الأثير) نظراً للدور الخطير الذي اضّطلع به صاحب جبيل، فيما بعد. فكان «من أعيان الفرنج، وأصحاب الرأي والمكر والشر، به يضرب المثل بينهم» على حد قوله (ابن الأثير، ١٩٦٦ : ١١/٥٤٣)، (ابن واصل، ١٩٥٧ : ٢/٢٠٧).

ولم ينته شهر أغسطس حتى لم يبق بيد الصليبيين، جنوب إمارة طرابلس سوى صور وعسقلان وغزة في الساحل الفلسطيني، وقلاع متناثرة قليلة، إضافة إلى بيت المقدس. وتقرر منازلة عسقلان أولاً، لأهمية موقعها بالنسبة لبيت المقدس ومصر، واستطاع أن يستولي عليها في ٥ سبتمبر / أيلول ١١٨٧م / جمادى الآخرة ٥٨٣هـ، ومنح صليبييها الأمان على أنفسهم ونسائهم وأولادهم وأموالهم، وأن يذهبوا إلى بيت المقدس (ابن الأثير، ١٩٦٦ : ١١/٥٤٦)، (ابن واصل، ١٩٥٧ : ٢/٢٠٩)، (ابو شامة، ١٢٨٧هـ : ٢/٩١) ثم أذعنت له مدن فلسطينية عديدة أهمها غزة والرملة والداروم[١٢] وبيت لحم (ابن الأثير، ١٩٦٦ : ١١/٥٤٦)، (ابن واصل، ١٩٥٧ : ٢/٢٠٩) ومدن أخرى جنوب بحيرة طبرية.

وكان من المتوقع أن يتجه صلاح الدين نحو صور، بعد أن واصلت قواته الاستيلاء على المدن

القـريبـة، ولا سيـما تبنـين وبير وت وصيدا، إضافة إلى فتحها لعكا في وقت سابق. غير أنه لم يشأ حمل جيشـه على معـانـاة حصـار غير مضمـون النجاح، لأنه كان على دراية بأن حصاره سيطول، وحتى لو نجح في الاستيلاء عليها في النهاية. لذا قرر أن يتفرغ لفتح المدن الأخرى، ليعزل صور فيتيسر له بذلك فتحها. إلا أن هذا التر يث كان من أسباب صمودها التالي. وفي أواخر سبتمبر / رجب من العام نفسه حرّر صلاح الدين بيت المقدس. وكان لهذا العمل الخطير، الصيت العظيم في العالم الإسلامي والمسيحي.

**معـاودة حصـار صـــور**

عاود صلاح الـدين بعـد الاستيـلاء على المدينة المقدسة، حصار مدينة صور في نوفمبر / تشرين الثاني ١١٨٧م رمضان ٥٨٣هـ، بعد أن زادت حصانة، كما أسلفنا، وصارت مكتظة بالمقاتلين «فكانت على كل من خرج من القـدس وبـلاد السـاحـل محتويةً» (الأصفهاني، ١٩٦٥ : ١٥٤) وغدت «مرتجة أبوابها، مغتصة جوانبها، مرتصة عصائبها، مشحونة أبراجها» (الأصفهاني، ١٩٦٥ : ١٥٦).

ظل «صـلاح الـدين أيـاماً يتفكر ويتدبر، ويستشير ويستخير» عما ينبغي فعله، وكان على رأس الـداعـين للهجـوم دون تريث القـائد المعروف (سيف الدين علي المشطوب الهكارى)[١٣]، الذي عرف بشجاعته في المعارك التي خاضها، وكان يدفع صلاح الدين إلى اتخاذ قرار الهجوم «ولا يمهله، ويحرض ويحـذر من المكث، ويقـول له: الفـرصة تدرك بالحث وتُفوَّتُ بالَلَبْثِ». «فسار صلاح الدين لندائه ملبيا ولجيش النصر معبيّاً، ولرأيه مقلّداً، وبالله متأيداً» (الأصفهاني، ١٩٦٥ : ١٥٤). ثم أمر بإنزال جموعه بعيـداً عن السـور، وجـاءتـه المـدد، «واستحضر آلات الحصار، واستكثر من المجانيق الصغار والكبار» (الأصفهاني، ١٩٦٥ : ١٥٤) وتقدم في «جيش يسير كالأسد في الغابة» وبدأ جنده يدكون أسوار المدينة الصلدة بتلك الآلات دكاً متواصلا.

ويذكر المؤرخون أن القتال كان يجري عادة في الساعد الذي يوصل بين المدينة «الشبيهة بالكف» وبين البر، لأن «المدينة كالكف في البحر، والساعد متصل بالبر والبحر في جانبي الساعد» (ابن الأثير، ١٩٦٦ : ١١/ ٥٥٤)، (ابن العـبـري، ١٩٥٧ : ٢٢١)، أي أن القتـال ونصب المعدات ورمي الآلات كان يتم عبر هذا المكان الضيق، وكان هذا أحد أسباب صمود من فيها.

وحـين لاحـظ صلاح الـدين التعب باديـاً على مقـاتليـه، ورأى ضيق مكـان القتال، بحيث لا يستوعب كل المحاربين ومعداتهم، لجأ إلى خطة القتال بالتناوب، تلك الخطة التي طبقها في فتح العديد من القلاع العاصية، ونجح فيها. فقسم مقاتليه إلى مجموعات، تحارب كل مجموعة فترة محددة، وحين يبدو عليها التعب، تنزل مجموعة ثانية لتحل محل المجموعة الأولى، وهكذا يتواصل القتال. وكان أفراد أسرة صلاح الدين يتناوبون القتال، فكان على رأس كل جماعة أحد أولاده، أو أحد أقربائه المقربين، مثل ولده الملك الأفضل نور الدين علي، والملك الظاهر شهاب الدين غازي (صاحب حلب)، وأخيه الملك العادل سيف الدين أبي بكر، وابن أخيه تقي الدين عمر (ابن الأثير، ١٩٦٦ : ١١/ ٥٥٤).

إلا أن هذه الأساليب، والآلات الثقيلة التي نصبها واستعملها جيش صلاح الدين لم تجده نفعاً، فظلت المدينة تقاوم الحصار. وكان من جملة أسباب هذا الفشل إضافة إلى تحصيناتها وكثرة المدافعين عنها، وضيق المكان الذي حاربوا فيه، أن محاربي جيش صلاح الدين ـ وحسب أقوال المؤرخَيْن المذكورين ـ عماد الدين الكاتب وابن الأثير ـ المعاصِرَيْن لصلاح الدين ـ قد ألفوا سهولة الفتح، والاستيلاء على المدن والحصون بسرعة ودون مشاق كبيرة (الاصفهاني، ١٩٦٥ : ١٥٩) ، (ابن الأثير، ١٩٦٦ : ١١/ ٥٥٥) وحين جابهتهم الصعوبات في صور «توقفوا، وملّوا وضجروا، فذكر ابن الأثير : ان المحاربين لما رأوا شدّة أمر هذه المدينة ملّوها ، وطلبوا الانتقال عنها » ( ابن الأثير ، ١٩٦٦ : ١١/ ٥٥٥ ) .

والواقع أن تهمة «اعتياد الفتح السهل» إن كانت تنسحب على مدينة معينة، فإنها لا تنطبق ـ كما نرى ـ على المدن الحصينة والقلاع المتينة التي ذاق في فتحها جيش صلاح الدين الأمرّين، ومن ثمّ فإن محاربي الجيش وقادتهم لم يألوا جهداً في اختراق تحصينات العدو في تلك المدن والقلاع . ولا أدل على هذا من هجومهم على صور ذاتها، وفرضهم الحصار عليها مدة قاربت الشهرين، ولمرتين متتاليتين خلال سنة واحدة، وهم على علم بمتانتها، وكثرة المحاربين فيها، واللاجئين إليها . وهذا ما حصل أيضاً في فتح (برزية)[١٤] فيما بعد؛ ذلك الحصن القائم على سن جبل شاهق، والذي كان يضرب به المثل في جميع بلاد الافرنج والمسلمين لحصانته، على حد وصف مؤرخي وجغرافيي ذلك العصر (الحموي، ١٩٥٥ : ١/ ٣٨٣)، (الأصفهاني، ١٩٦٥ : ٢٤٨)، (ابن شداد، ١٩٦٤ : ٩٢) وقد تحمّل جيش صلاح الدين الكثير من المشاق والعنت من أجل فتحه، واستعمل فيه صنوف أسلحة الحصار (ابن الأثير، ١٩٦٦ : ١٢/ ١٥) واتّبع أسلوب القتال بالتناوب، المذكور إلى أن استطاع الاستيلاء على هذا الحصن الحصين أخيراً .

يقول ابن الأثير ـ الذي اتهم جيش صلاح الدين بالتقاعس في قتال صور للسبب المذكور: إن هذا الجيش قاتل في حصار (برزية) قتالا عزوماً، رغم أن الزمان كان حراً شديداً، فاشتد الكرب على المقاتلين المسلمين، وكان صلاح الدين يطوف حول محاربيه ويحرّضهم على القتال (ابن الأثير، ١٩٦٦ : ١٢/ ١٥) حتى استطاعوا قهرها والاستيلاء عليها . ولهذا فإن التهمة المذكورة يجب إعادة النظر فيها، والتقصّي عن سبب توجيهها، وألا ينظر إليها كحقيقة مسلمة .

ونرى أن رفع الحصار عن صور والانسحاب منها كان عملا حكيماً، إذا وضعناه في سياقه العسكري الشامل ، إضافة إلى وضع الجيش المتعب، بعد أن رأى صعوبة شديدة في فتحها . بينما نجد أن (ابن الأثير) يرمي مسؤولية الفشل برمتها على عاتق صلاح الدين شخصياً، بعد أن اتهّم جيشه بالتقصير في مواصلة الحصار، وقال : لم يكن لأحد ذنب في أمرها غير صلاح الدين، فإنه هو الذي جهز إليها جنود الفرنج، وأمدّها بالرجال والأموال . فكان يعطيهم الأمان ويرسلهم إلى صور، فاجتمع فيها كل من سلِم من فرسان الفرنج بالساحل بأموالهم وأموال التجار (ابن الأثير، ١٩٦٦ : ١١/ ٥٥٥-٥٥٦)، (ابو شامة، ١٢٨٧هـ: ٢/ ١١٩)، (ابن واصل، ١٩٥٧ : ٢/ ٢٤٥).

ويبدو هذا الكلام مقبولا لأول وهلة. فالواقع أن الانتصارات التي حققها صلاح الدين وضعته أمام واقع جديد؛ واقع الآلاف من المحاربين الصليبيين الذين كانوا يلقون أسلحتهم ويعلنون عن استعدادهم بترك المدينة المطوقة، وتسليمها إلى صلاح الدين إذا وجدوا ما ينم عن سماح، وعدم الانتقام منهم. فما كان من صلاح الدين سوى الموافقة على طلبهم. بل إن هذا الموقف الحكيم جعل المحاربين الصليبيين لا يحاربون بجدية، نظراً لمعرفتهم بعدم جدوى القتال، ولثقتهم بأن صلاح الدين سيعاملهم معاملة إنسانية إذا سلّموا أنفسهم ومدينتهم إليه، وهذه السياسة السمحاء جعلت المدن التي كان الصليبيون ما زالوا يحتلونها تتهاوى الواحدة بعد الأخرى بتلك السرعة المعهودة. وكان هؤلاء المستأمنون يختارون مدينة صور كمأوى يلجأون إليها بعد خروجهم من تلك المدن. وكاد هذا الوضع - أي تسليم المحاربين أنفسهم ومدينتهم لصلاح الدين - يحصل لمدينة صور نفسها. حين داهمها صلاح الدين بجنده، في حصار صور الأول، لولا وصول كنراد مونتفيرات المذكور في تلك اللحظة الحاسمة، وتنظيم المقاومة فيها بالطريقة السالفة.

وهنا نسأل: ماذا كان ينبغي على صلاح الدين أن يفعله، ولم يفعله تجاه من يسلّم نفسه إليه، ويطلب الأمان منه؟ أكان بمقدوره أن يسفرّهم إلى حيث أتوا؟ إلى أوروبا؟ أو أكان بوسعه أن يقتلهم قتلاً جماعياً؟ وماذا كان سيترتب على مثل هذه السياسة؟ أكان جيشه يحرز كل تلك الانتصارات بتلك السرعة القياسية؟

ونشير بهذا الصدد إلى أن أحد أسباب سقوط تلك المدن بيد قوات صلاح الدين هو افتقار الصليبيين في تلك المدن إلى قادة بارزين، بعد أن قتل بعضهم في حطين، أووقعوا في أسر قوات المسلمين، ولم يبق منهم إلا القليل. ولهذا، ما أن تسنّى لهم أن يقودهم قائد مغامر مثل كونراد مونتفيرات حتى قرروا تنظيم دفاع مستميت ضد صلاح الدين. وبعد أن وثقوا من مناعة أسوار وموقع مدينتهم، كانت النتيجة ما حصل.

ونرى أن صلاح الدين لو كان يرمي بثقله على صور وحدها، ويصرّ على إتمام فتحها - بأي ثمن - لكان من المحتمل ألا يستطيع فتحها، وكما حصل فعلاً. ولأضاع على جيشه فرصة فتح مدن الساحل والمداخل الأخرى - وهي كثيرة - حيث توالت الانتصارات عليه. ولكانت الحملة الصليبية الثالثة، التي نظمتها أوروبا عقب سقوط بيت المقدس بيد المسلمين، وقادها ملوك عظام مثل ريتشارد قلب الأسد (Richard Coeur de Lion) ملك انجلترا، وفردريك باربروسا (Frederic Barbarossa) ملك ألمانيا، وفيليب اغسطس (Philip Augustus) ملك فرنسا، نقول لكانت هذه الحملة الضخمة تصل لتزيح صلاح الدين عن صور، كما أزاحته - فعلاً - عن مواقعه في عكا في وقت كانت عكا بيد المسلمين، وليست بيد الصليبيين. أي أن صلاح الدين بمرابطته على صور - بتلك الصورة - كان سيُفّوت على جيشه فرصة فتح صور، وفرصة فتح المدن الأخرى التي استولى عليها فعلاً، في نفس الوقت. ولكنه - أي صلاح الدين - لم يشأ أن يخسر كل هذه الخسارة من أجل صور، بل إنه اضطر أن يضحي بهذه المدينة لوحدها، رغم أهميتها، من أجل بقية الفتوح، وهي عظيمة ولا شك. ومن ثم يبقى الوجود الصليبي محصوراً في صور ذلك الجيب المطوق بالقوات الإسلامية من كل جانب، سوى جانب البحر.

ومن هذا فإن تساهل صلاح الدين مع صليبيي المدن المحررة، والسماح لهم بالتجمع في صور، كان ـ مع وصول كنراد مونتفيرات، ومتانة الأسوار من أهم أسباب صمود هذه المدينة، ومن الأخطاء التي سجلت على القائد الكبير. ولكن هل كان القائد على علم بما سيؤول إليه عمله من نتائج؟ وإذا كان يعلم فلماذا فرض الحصار عليها. وكذلك كان من أسباب فشل حصاره ورود المؤن والأعتدة إليها من أوروبا وقبرص ومن الإمارات الصليبية في الساحل الشامي، في طرابلس وأنطاكية. ومع أن المؤن كانت تصل إلى قوات صلاح الدين أيضاً، سواء من البر أو من البحر، حيث كانت مراكب عكا وبيروت وجبيل تواصل إيصال المواد إليها إلا أن سفن الأسطول الصليبي كانت تحول دون وصول هذه المؤن إلى غايتها في أكثر الأحيان[١٥].

ومع كل ما حصل فإن صلاح الدين لم يكن عند رأي الداعين إلى الانسحاب ورفع الحصار، فكما يقول ابن الأثير نفسه، فإن الأمراء الذين كان بيدهم الحل والعقد، هم الذين دعوا صلاح الدين إلى ترك صور، لأنهم خافوا أن يقترض منهم ما ينفقه على الحصار (ابن الأثير، ١٩٦٦: ١١/٥٥٦). في حين كان رأي صلاح الدين مع رأي «أتقياء أمرائه» كالفقيه ضياء الدين عيسى الهكارى[١٦] وعز الدين جورديك[١٧]، وحسام الدين طمان[١٨]، الذين طالبوا بالتريث وعدم رفع الحصار. أي أن صلاح الدين كان يريد أن يبقى جيشه يحاصر صور فترة أخرى (الأصفهاني، ١٩٦٥: ١٥٩)، رغم حاجته إلى المال، مما دفعه إلى التفكير في الاقتراض من الأمراء الأغنياء (أصحاب الاقطاعات) لسد نفقات الحصار، لكن هؤلاء الأمراء ألحّوا عليه برفع الحصار. وهذه الفئة لم تكن متحّمسة لخوض غمار أية معركة ما لم تكن نتائجها مضمونة، بصورة عامة. وأخيراً أذعن صلاح الدين إلى قرار مجلس حربه «على تمنّع منه» ولم يشأ أن يقف ضد إرادتهم، فأمر جنده بفك آلات الحصار، واحراق ما يعجزون عن نقله، ورحل عن صور في آخر شوال ٥٨٣ هـ/يناير (كانون الثاني ١١٨٨م)[١٩] متجهاً نحو عكا، وودع أمراءه الذين رجعوا إلى أوطانهم، على أن يعودوا إلى ميدان القتال لمواصلة الجهود بعد انقضاء فصل الشتاء[٢٠]. ودون أن يؤثر هذا الفشل على الوضع، فما أن انقضى الموسم حتى عاد العساكر لتحرير أجزاء أخرى من أرض الشام وفلسطين، والاستيلاء على مدن وحصون كانت على جانب كبير من الأهمية والمناعة، مثل اللاذقية وصفد[٢١] وكوكب[٢٢] وجبلة[٢٣] والكرك[٢٤] وبرزية ودربساك[٢٥] وصهيون[٢٦] وشقيف ارنون، وغيرها.

## الخاتمة

من كل ما ذكرنا نخرج بنتائج مفادها :

(١) إن صلاح الدين لم يكن بوسعه أن يمنع الصليبيين المستأمنين من الذهاب إلى المكان الذي يختارونه، فاختاروا مدينة صور، لأنها كانت موطن أمانهم (حسب تعبير ابن جبير). وكان بإمكان صلاح الدين أن يختار للمستأمنين مكانا آخر يجتمعون فيه، غير مدينة صور.

(٢) إن صلاح الدين كان على ظن بأن صور ـ مع ما فيها من حشود ـ لن تفلت منه، وهذا ما جعله يفرض عليها حصاراً في مستوى أهمية صور، لكنه حصار غير مجد. ولهذا سقطت المدن والحصون الأخرى، من حيث صمدت صور.

(٣) كان لوصول كونراد منتفيرات في تلك اللحظة التاريخية أثره الكبير في إعادة تنظيم المقاومة الصليبية، بمستوى جديد، في وقت كادت المدينة تعلن استسلامها، وطلب الأمان من صلاح الدين.

(٤) إن ضعف بحرية صلاح الدين بالنسبة للبحرية الصليبية والمتعاونة معها، كان ضمن أسباب فشل الحصار (حسين، ١٩٨٦ : ٣٦٢ ـ ٣٦٤).

(٥) تمتعت صور بمتانة أسوارها، ومناعة موقعها، ووضعها الطوبوغرافي الخاص، ولذا لم يكن من السهل الاستيلاء عليها، بسبب تلك الظروف.

(٦) كان بعض أمراء جيشه، ولا سيما الأغنياء منهم، يندفعون لدى ضمان الانتصارات، وحين لا تحسم المعارك بسرعة يقل حماسهم، وتفتر عزيمتهم. ويحسب هذا الضعف ضمن عيوب الجيوش التي كانت تعتمد على مشورة الأمراء الذين يكوّنون مجلس حرب الجيش، وبيدهم الحل والعقد، لأنهم لا يأبهون بشيء أكثر من مصالحهم الآنية. وكان على قائد مثل صلاح الدين أن يوسع قاعدة جيشه النظامي، ويقلل من الاعتماد على التشكيلات المستقلة (شبه الاقطاعية) التابعة لدولته. ولكن هل كان بوسع صلاح الدين أن يفعل ذلك، ويخرج عن طبيعة عصره؟ هذا وقد أورد «ابن شداد» إشارة لها مغزاها بصدد الغنائم التي كان الجنود يتلهفون في جمعها، ويملّون القتال إذا طال أمده، قائلا:
« إن العسكر قد تفرق في الساحل، وذهب كل إنسان يأخذ لنفسه شيئا من الغنيمة، وكانوا قد ضرسوا من (اشتد عليهم) القتال، وملازمة الحرب » ( ابن شداد : ١٩٦٤ ) .

(٧) إن ما حصل في صور يجب ألا يبالغ في تقدير حجمه، وبأنه صار (لوحده) نقطة التحول الخطيرة[٢٧]، التي توقفت عندها انتصارات جيش صلاح الدين، ومنها بدأ هذا القائد يتخذ مواقف دفاعية بعد أن كانت هجومية. فالمعروف أن هذا الجيش ـ بعد فشل حصار صور ـ واصل، وكما أسلفنا ، الاستيلاء على المدن والقلاع التي كانت بيد الصليبيين وانتصر فيها، والواقع أن ما أثر في تغيير خططه العسكرية، فيما بعد، هووصول حشود الحملة الصليبية الثالثة الهائلة، والتي لم تحقق انتصاراً أساسيا على صلاح الدين يرقى إلى مستوى حجم الحملة، وإلى مستوى الملوك والقادة الذين كانوا على رأسها.

البحر المتوسط
طرابلس
البطرون
جبيل
نهر الكلب
بيروت
بعلبك
الزبداني
دمشق
داريا
نيرون
صيدا
صور
هوين
بانياس
مرج الصفر
تبنين
مخاضة يعقوب
صفد
عكا
حيفا
حطين
طبرية
رأس الماء
اليرموك
كفر ميت
الناصره
كوكب
الغولة
عين جالوت
بيسان
قيسارية
جرش
ارسوف
نابلس
الغور
يافا
اللد
الرملة
بيت المقدس
بيت لحم
يبنا
بيت جبريل
حبرون
عسقلان
غزة
داروم
العريش
الكرك
فلسطين

## الهـوامش

(١) أرسوف: مدينة على ساحل بحر الشام (الساحل الفلسطيني) بين قيسارية ويافا، كان بها خلق من المرابطين، انظر: معجم البلدان، طبعة بيروت ١/١٥١ وعن الحادث انظر: ابن شداد، النوادر السلطانية (سيرة صلاح الدين) ص: ١٨٥.

(٢) عسقلان: مدينة بالشام، من أعمال فلسطين على ساحل البحر بين غزة وبيت جبرين، ويقال لها عروس الشام. استولى عليها الافرنج عام ٥٤٨هـ، وبقيت في أيديهم (٣٥) سنة، إلى أن أنقذها صلاح الدين منهم في سنة ٥٨٣هـ، ثم قوى الافرنج وفتحوا عكا وساروا نحو عسقلان، فخشى أن يتم عليها ما تم على عكا فخرّبها في شعبان ٥٨٧هـ. ياقوت: معجم البلدان: ٤/١٢٢. وانظر عن ذلك أيضا: سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان، جـ٨ ص ٤١٠، ابو شامة، كتاب الروضتين جـ٢، ص ٢٠٤.

(٣) الرملة: مدينة عظيمة بفلسطين. كانت قصبتها. عرفت بكثرة صهاريجها وكثرة الفواكه وصحة الهواء. أنقذها صلاح الدين سنة ٥٨٣ هـ من الافرنج، ثم خرّبها خوفا من استيلاء الافرنج عليها مرة أخرى في سنة ٥٨٧هـ. وبقيت على ذلك الخراب إلى الآن (أي إلى أيام تدوين ياقوت الحموي لكتابه: معجم البلدان ٣/٦٩). وانظر عن الحادث (ابن الأثير، حوادث ٥٨٧هـ).

(٤) النطرون: من مدن فلسطين. عن تخريبها انظر: عماد الدين الكاتب الأصفهاني: الفتح القسي، ص ٥٥٢، ابن شداد: النوادر ص ١٨٩، ابن الأثير، الكامل: ١٢/٧٢.

(٥) صفورية: بلدة من نواحي الأردن بالشام، وهي قرب طبرية أنظر: معجم البلدان ٣/٤١٤.

(٦) الفولة: بلدة بفلسطين من نواحي الشام، أنظر: معجم البلدان ٤/٢٨٠.

(٧) قيسارية: بلد على ساحل بحر الشام، تعد من أعمال فلسطين، بينها وبين طبرية ثلاثة أيام. وكانت من أعيان أمهات المدن، واسعة الرقعة، طيبة البقعة، كثيرة الخير. معجم البلدان: ٤/٤٢١.

(٨) سبسطية: بلدة من نواحي فلسطين، بينها وبين بيت المقدس يومان تقع قرب نابلس، في شمالها الغربي. راجع معجم البلدان ٣/١٨٤.

(٩) تبنين: بلدة في جبال بني عامر المطلة على بلد بانياس بين دمشق وصور. راجع معجم البلدان ٢/١٤.

(١٠) شقيف أرنون: قلعة حصينة جدا في كهف من الجبل قرب نابلس من أرض دمشق بينها وبين الساحل. معجم البلدان ٣/٣٥٦.

(١١) جبيل: بلد في سواحل دمشق... في شرقي بيروت على بعد ثمانية فراسخ منها. معجم البلدان ٢/١٠٩.

(١٢) الداروم: قلعة بعد غزة للقاصد إلى مصر، الواقف فيها يرى البحر، إلا أن بينها وبين البحر مقدار فرسخ. معجم البلدان: ٢/٤٢٤.

(١٣) سيف الدين على المشطوب الهكارى. أحد أبرز قادة صلاح الدين. قاد صمود عكا في حصارها الطويل، وقّع على صلح الرملة مع الصليبيين ممثلا عن صلاح الدين. توفي في بيت المقدس في ٥٨٨هـ/١١٩٢م. أنظر (بحثنا: المشطوب الهكارى. سيرة مجاهد ـ مجلة المجمع العلمي العراقي / الهيئة الكردية / المجلد الثامن ١٩٨١). وانظر: البداية والنهاية: ١٢/٣٥٢، النجوم الزاهرة: ٦/١١٧، شذرات الذهب: ٤/٢٩٤.

(١٤) برزية: حصن قرب السواحل الشامية على رأس جبل شاهق، يضرب به المثل في جميع بلاد الافرنج بالحصانة، تحيط به أودية من جميع جوانبه وذَرْعُ علوّ قلعته خمسمائة وسبعون ذراعاً، معجم البلدان: ١/٣٨٣.

(١٥) انظر بهذا الخصوص، الأصفهاني، الفتح القسي: ١١٦، أيضا ابن شداد، النوادر: ٨٤، سبط ابن الجوزي، مرآة الزمان: ٨/٤٠٠، ابن تغري بردى، النجوم الزاهرة: ٦/٣٨.

(١٦) الفقيه ضياء الدين عيسى بن محمد الهكارى. أحد مستشاري صلاح الدين المجاهدين. اضطلع بدور بارز في إقرار حكم صلاح الدين في مصر. توفي سنة ٥٨٥هـ/ ١١٨٩م، ودفن بالقدس. له ترجمة في الكامل: ١٢/٤٢، وفيات الأعيان: ٣/٤٩٧، ابن كثير، البداية والنهاية: ١٢/٣٣٤، النجوم الزاهرة: ٦/١١٠.

(١٧) عز الدين جورديك بن عبدالله النوري: أحد قادة نور الدين محمود البارزين. ثم أنضم إلى قيادة جيش صلاح الدين، وخدمه باخلاص في جميع غزواته. توفي سنة ٥٩٤ هـ/١١٩٧م. وهو الذي قتل الوزير الأخير في الدولة الفاطمية (شاور) بالتعاون مع صلاح الدين / وفيات الأعيان ٢/٤٤٠، النجوم الزاهرة: ٦/١٤٣.

(١٨) حسام الدين طهان بن عبد الله النوري . أحد قادة نور الدين محمود البارزين . ثم انضم إلى قيادة جيش صلاح الدين . كان شجاعاً جَواداً . بنى مدرسة بحلب . توفي بعكاسنة ٥٨٥ هـ/١١٨٩ م ، وحزن عليه صلاح الدين حزناً شديداً لحرصه على الجهاد ولمواقفه المشهودة . النجوم الزاهرة : ٦/١٠٩ .

(١٩) انظر ابن العديم ، زبدة الحلب : ٣/١٠٠ ، وأبوشامة ، كتاب الروضتين : ٢/١١٩ ، وابن واصل ، مفرج الكروب : ٢/٢٤٥ ـ ٢٤٦ . يذكرد . السيد الباز العريني ، الشرق الأوسط : ١/٨٦٢ أن فك الحصار تم في أول العام الجديد ١١٨٨ كما ثبتنا ذلك ، إلا أن ابن الاثير ١١/٥٥٧ يقول إنه فك الحصار في [أول كانون الأول (ديسمبر) ١١٨٧ ونخال أن هذا أكثر صواباً] .

(٢٠) انظر : ابن العديم ، زبدة الحلب : ٣/١٠٠ ، وأبوشامة ، كتاب الروضتين : ٢/١١٩ ، وابن واصل ، مفرج الكروب : ٢/٢٤٥ ـ ٢٤٦ ، المقريزي ، السلوك لمعرفة دول الملوك : ١/٩٧ .

(٢١) صفد : مدينة في جبال عاملة المطلة على حمص بالشام ، وهي من جبال لبنان . انظر معجم البلدان : ٣/٤١٢ .

(٢٢) كوكب : قلعة على الجبل المطل على مدينة طبرية ، حصينة رصينة ، تشرف على نهر الأردن ، معجم البلدان : ٤/٤٩٤ .

(٢٣) جبلة : قلعة مشهورة بساحل الشام من أعمال حلب ، قرب اللاذقية . معجم البلدان : ٢/١٠٥ .

(٢٤) الكرك : حصن حصين يقع قريبا من البحر الميت ، في الجانب الجنوبي الشرقي منه . يتمتع بمركز استراتيجي مرموق لوقوعه في الطريق الصحراوي الموصل بين الشام ومصر والحجاز . سمي لحصانته بـ «صخرة الصحراء» . أنظر : ابن شدّاد ، الأعلاق الخطيرة في ذكر أمراء الشام والجزيرة : ٢/٦٩ ـ ٧٣ .

(٢٥) دربساك : حصن يقع في الشمال الشرقي من حصن (بغراس) . انظر : معجم البلدان .

(٢٦) صهيون : حصن حصين من أعمال سواحل الشام ، من أعمال حمص ، لكنه ليس مشرفاً على البحر ، وهو قلعة حصينة مكينة في طرف جبل ، خنادقها أودية واسعة هائلة عميقة ليس لها خندق محفور . . . ولها ثلاثة أسوار . معجم البلدان : ٣/٤٣٧ .

(٢٧) لمزيد من المعلومات انظر : (Lane - Pool, Saladin, P. 241) ، نظير حسان سعداوي ، التاريخ الحربي المصري ، ص ١٩٨ ، د . عبد القادر اليوسف ، علاقات بين الشرق والغرب ، ص ١٤٣ ، قدري قلعجي ، صلاح الدين ، ص ٣٦٠ .

## المراجع العربية


ابن الأثير ، أبو الحسن عز الدين علي بن محمد الجزري الشيباني . (ت ٦٣٠ هـ/ ١٢٣٣ م) . — **الكامل في التاريخ** ، لبنان : دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٦٦ م .

ابن تغرى بردى ، أبو المحاسن جمال الدين يوسف الأتابكي (ت ٨٧٤ هـ / ١٤٦٩ م) — **النجوم الزاهرة في ملوك مصر والقاهرة** ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية .

ابن جبير ، أبو الحسن محمد بن أحمد بن جبير (ت ٦١٤ هـ/١٢١٧ م) — رحلة ابن جبير ، لبنان : دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٦٤ م .

ابن خلكان ، أبو العباس شمس الدين أحمد بن محمد بن أبي بكر بن خلكان الأربلي (٦٨١ هـ/١٢٨٢ م) — **وفيات الأعيان وأنباء أبناء الزمان** . . ، تحقيق د . إحسان عباس ، بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٨ م ـ ١٩٧١ م .

ابن كثير ، أبو الفدا اسماعيل — **البداية والنهاية في التاريخ** ، القاهرة ، ١٩٣٢ ـ ١٩٣٩ .

ابن شداد ، أبو المحاسن بهاء الدين يوسف بن رافع الأسدي (ت ٦٣٢ هـ / ١٢٣٤ م) — **ـ النوادر السلطانية** ، تحقيق د . جمال الدين الشيال ، القاهرة طبعة الدار المصرية ١٩٦٤ م .
— **ـ الاعلاق الخطيرة في ذكر امراء الشام والجزيرة** .

الأصفهاني ، عماد الدين الكاتب (ت ٥٩٧ هـ / ١٢٠٠ م) — **الفتح القسي في الفتح القدسي** ، تحقيق محمد محمود صبح ، القاهرة الدار القومية للطباعة والنشر ، ١٩٦٥ .

ابن العبري ، أبو الفرج غريغوريوس اهرون الملطي (ت ٦٨٥ هـ / ١٢٨٦ م) — **تاريخ مختصر الدول** ، بيروت : المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٥١ م .

ابن العديم ، ابو القاسم كمال الدين عمر بن أحمد بن هبة الله (ت ٦٦٠ هـ / ١٢٦١ م) — **زبدة الحلب من تاريخ حلب** ، تحقيق د . سامي الدهان ، بيروت المطبعة الكاثوليكية ، ١٩٦٨ م .

ابن القلانسي ، أبويعلى حمزة (ت ٥٥٥ هـ / ١١٦٠ م) — **ذيل تاريخ دمشق** ، بيروت : مطبعة الآباء اليسوعيين ، ١٩٠٨ م .

ابن واصل ، جمال الدين محمد بن سالم بن واصل (ت ٦٩٧ هـ / ١٢٩٧ م) — **مفرج الكروب في أخبار بني أيوب** ، تحقيق د . جمال الدين الشيال . القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٥٧ م .

أبو شامة ، أبو محمد شهاب الدين عبد الرحمن بن إسماعيل المقدسي (ت ٦٦٢ هـ / ١٢٦٦ م) — **كتاب الروضتين في أخبار الدولتين** ، القاهرة : مطبقة وادي النيل ١٢٨٧ ـ ١٢٨٨ هـ .

حتـي ، فيليب — **تاريخ سورية ولبنان وفلسطين** ، بيروت : دار الثقافة ، ١٩٥٨ م .

حسين ، محسن محمد — **الجيش في عهد صلاح الدين . . تكوينه ، تنظيمه ، أسلحته وبحريته** ، الأردن : دار البشير ، ١٩٨٦ م .

الحموي ، ياقوت أبو عبد الله شهاب الدين ياقوت بن عبد الله الرومي (ت ٦٢٦ هـ ـ ١٢٢٩ م) — **معجم البلدان** ، لبنان : دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٥٥ م ، ١٩٥٧ م .

الحميري ، محمد بن محمد بن عبد المنعم (عاش في القرن التاسع الهجري ) — **الروض المعطار في خبر الأقطار** ، تحقيق د.إحسان عباس ، بيروت دار القلم للطباعة ، ١٩٧٥ م .

الحنبلي ، أبو البركات عز الدين أحمد بن إبراهيم بن نصر الله المصري (ت ٨٧٦ هـ / ١٤٧١ م ) — **شفاء القلوب في مناقب بني أيوب** ، تحقيق د . ناظم رشيد ، بغداد وزارة الثقافة والفنون ، ١٩٧٩ .

خسرو ، ناصر — **سفر نامة** (رحلته التي قام بها بين ٤٣٧ ـ ٤٤٤ هـ / ١٠٤٥ ـ ١٠٥٢ م) ، ترجمه من الفارسية ـ د . يحيى الخشاب ، بيروت : دار الكتاب الجديد ـ مطابع دار القلم ، ١٩٧٠ م .

رنسيمان ، ستيفن — **تاريخ الحروب الصليبية** ، ترجمة السيد الباز العريني ، بيروت : دار الثقافة ، ١٩٦٨ م .

السامر ، فيصل — **ابن الأثير** ، بغداد : وزارة الثقافة والاعلام ، دار الحرية ١٩٨٣ م .

سبط ابن الجوزي ، أبو المظفر شمس الدين قزأوغلي التركي (ت ٦٥٤ هـ / ١٢٥٦ م) — **مرآة الزمان في تاريخ الأعيان** ، حيدر آباد ، الهند : مطبعة مجلس دار المعارف العثمانية ، ١٩٥٢ م .

سعداوي ، نظير حسان — **التاريخ الحربي المصري** ، القاهرة : مكتبة النهضة المصرية ، ١٩٥٧ م .

القزويني ، زكريا بن محمد بن محمود (ت ٦٨٢ هـ/١٢٨٣ م) قلعجي ، قدري — **آثار البلاد وأخبار العباد** . لبنان : دار صادر ، دار بيروت ، ١٩٦٠ م

**صلاح الدين قصة الصراع بين الشرق والغرب** . بيروت : دار الكتاب العربي مطابع شركة المطابع الحديثة ، ١٩٦٦ م .

المقريزي ، أبو العباس تقي الدين أحمد بن علي (ت ٨٤٥ هـ/١٤٤٢ م) اليوسف ، عبد القادر أحمد — **السلوك لمعرفة دول الملوك** ، تحقيق د . مصطفى زيادة ، القاهرة : مطبعة دار الكتب المصرية ، ١٩٣٤ م .

**علاقات بين الشرق والغرب** ، صيدا ، بيروت : منشورات المكتبة العصرية ، ١٩٦٩ م .

## المراجع الاجنبية :

Stanley Lane- Poole — **Saladin and the fall of the Kingdom of Jerusalem,** Beirut, 1964.